رابطة العالم الإسلامي

الأمانة العامة

الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

هُوِيّتُنا الثَّقافِيّة في عَصر العَوْلَمة

إعـداد

الدكتور محمود سعيد حميدة عطية

الأستاذ المساعد في جامعتي قطر والقاهرة

مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الخامس عشر

الثقافة الإسلامية.. الأصالة والمعاصرة

الذي تنظمه

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة

٤ – ٦ / ذو الحجة / ١٤٣٥ هـ

٢٨ – ٣٠ / سـبتمبر / ٢٠١٤ م

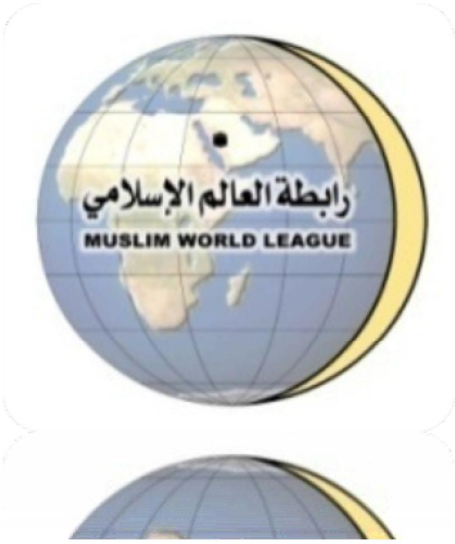

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩- الفاكس: ٥٦٠١٣١٩-٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة - مكة، تلكس: ٥٤٠٠٠٩ و٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

كنا نسمع إلى وقت قريب أن العالم ينقسم إلى شرق وغرب، وينقسم الشرق إلى: أدنى، وأقصى، وأوسط. وقد توارَت في العصر الحديث فكرة التقسيمات تلك على هذا المستوى، اللهم إلا لتمييز الموقع فحسب، لا سيما بعد أن أصبح العالم قرية صغيرة متواصلة معرفيًا وثقافيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، الأمر الذي زالت معه الحدود الجغرافية والسياسية، وأضحَت مقولة الشاعر الإنجليزي «روديارد كبلنغ» (**أن الشرق شرقٌ والغرب غربٌ ولن يلتقيا**)؛ تحتاج إلى إعادة النظر في مضمونها تحت ظل العولمة، وربما كان مَعْقِدُ نظر الرجل أنهما لن يلتقيا في مواجهة مباشرة كالتي كان عليها الحال في الحروب الصليبية وتوابعها من الغزو الاستعماري في القرن التاسع عشر؛ لما لذلك من أثر كبير في توحيد صفوف المسلمين أمام الغاصبين؛ الأمر الذي أيقَن معه الغرب - كثيراً - أنه لا نصْر على المسلمين إلا بنوع آخر هو الحروب الباردة، وهي - حقيقةً - إحدى صور العولمة اقتصاديًا وثقافيًا واجتماعيًا وإعلاميًا، فهي التي تؤثر على المسلمين، وهي التي نعبّر عنها أحيانًا بالغزو الفكري، بحيث لا تُستعمَل في عَرَصاتها إلا رجال الشرق بأسلحة الغرب المستورَدة، ناهيك عن إشرافه وتدخلاته، ولا يقتصر الأمر على ذلك؛ بل يُصوّر للعالم كيف يَقتتل المسلمون بحيث يكون العقل الغربي مهيّئًا للخوف من الإسلام «الإسلاموفوبيا»، في حين أن الدين العظيم يداهم عقل الغربي المستنير، فأضحى يهتدي بفطرته إلى الإسلام لا طريقَ المسلمين.

فما المراد بالهوية والعولمة والثقافة؟

وكيف نحافظ على هُويّتنا؟

وما منابع ثقافتنا والدور المنوط بنا الآن إزاء العولمة؟

سأحاول في المبحث الأول أن أبيّن المقصود بتلك المصطلحات المهمة التي يدور حولها البحث: العولمة، الهوية، والثقافة، مبيناً العلاقة بينها، ثم أتناول منابع تلك الثقافة ونشأتها في المبحث الثاني، ثم أتناول في المبحث الثالث الهوية الثقافية بين عصرين: عصرٌ كانت الحضارة الإسلامية فتيّة تهضم وتتمثل وتنفتح وتستوعب، وذلك مناط الأصالة، وعصرٌ آخر أصبحَت فيه مغزوّةً مَهيضةَ الجَناح لا تَقوى على مجابهة التحديات؛ وذلك محل المعاصرة، والمبحث الأخير خاتمة البحث، للإجابة عن سؤال مهم: كيف تُصبح الثقافة الإسلامية ثقافة عالمية؟ وذلك عن طريق تقديم عدد من الحلول والمقترحات التي تأخذ بأيدينا للمحافظة على هُويتنا الثقافية.

المبحث الأول

بين العولمة والهوية والثقافة

١ - مفهوم العولمة:

لم تتفق كلمة الباحثين حول تعريف اصطلاحي واحد للعولمة، وذلك شأن المصطلحات الجديدة لاسيما إذا كانت تتعلق بالعالم الذي يحتوى على صور مختلفة منها وعلى عقول تراها من زوايا مختلفة، ولكنها جميعا تتفق على أنها: تَحوُّل أنظمة العالم المتنوعة إلى نظام اقتصادي رأسمالي واحد يضمَن معه حرية انتقال الأموال والسلع والأفكار والمعلومات والاعتقادات والعادات وغيرها من المعاملات، كالشركات متعددة الجنسيات والمؤسسات والشبكات والاتصالات والبنوك الدولية بل البشر أنفسهم، مع إزالة الحواجز الحدودية وتقلص المسافات. وعرَّفها أحد الباحثين بأنها: «العملية التي يتم بمقتضاها إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب، والتي تنتقل فيها المجتمعات من حالة الفُرقة والتجزئة إلى حالة الاقتراب والتوحد، ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق، ومن حالة التباين والتمايز إلى حالة التجانس والتماثل، وهنا يتشكّل وعي عالمي وقيَم موحّدة تقوم على مواثيق إنسانية عامة»[(١)]، وتلك العملية تتم في إطار النظام الاقتصادي الرأسمالي الذي يعبّر عن الهيمنة الأمريكية على العالم، وبِناءً عليه تكون العولمة: سيطرة القطب الواحد على العالم، أي: «العمل على تعميم نمَط حضاري يخص بلداً بعينه هو الولايات المتحدة

(١) أحمد مجدي حجازي: العولمة وآليات التهميش في الثقافة العربية، وهو بحث أُلقي في المؤتمر العلمي الرابع (الثقافة العربية في القرن القادم بين العولمة والخصوصية) المنعقد بجامعة فيلادلفيا في الأردن، مايو ١٩٩٨م، ص٣.

الأمريكية على بلدان العالم أجمع، وأيديولوجيًا: تُعبّر عن إرادة الهيمنة على العالم وأمرَكته»[١].

ولا ريب أن الأثر الاقتصادي ليس هو الوحيد[٢] - وإن كان الأبرز باعتباره البداية الحقيقية الملموسة - بل له آثار أخرى على الثقافة والاجتماع والسياسة، «والعولمة بالمفهوم المعاصر (الأمرَكة) ليست مجرد سيطرة وهيمنةٍ والتحكّم بالسياسة والاقتصاد فحسب، ولكنها تمتد لتَطال ثقافات الشعوب والهوية القومية الوطنية، وترمي إلى تعميم أنموذجٍ من السلوك وأنماط أو منظومات من القيم وطرائق العيش والتدبير، وهي بالتالي تَحمل ثقافة غربية أمريكية تغزو بها ثقافات مجتمعات أخرى...وأكّد ذلك الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش حين قال في مناخ الاحتفال بالنصر في حرب الخليج الثانية: إنّ القرن القادم سيشهد انتشار القيم الأمريكية، وأنماط العيش والسلوك الأمريكي»[٣]، ومن ثَم فقد غدَت الثقافة الأمريكية هي التي تذوب فيها كل ثقافات العالم على الرغم من تنوّعها واختلاف خصوصياتها بحيث تكون تابعةً بل أسيرة لها، والسياسة الأمريكية تَسود وتتمكن ليس باقتصادها فحسب؛ بل بتصدير النموذج الديمقراطي والتدخّل باسمه في سياسات الدول الداخلية والخارجية، الأمر

(١) محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية، عشر أطروحات، دار المستقبل العربي، بيروت، العدد ٢٢٨، ١٩٩٨م، ص١٣٧.

(٢) من مخالب العولمة: قوة الاقتصاد وتصدير التكنولوجيا للعالم عن طريق الترويج الإعلامي الهائل الذي يعود امتلاك آلته في مجمله إلى الغرب؛ بطريق مباشر عن طريق فضائيات خاصة تتحدث بالعربية تابعة لتلك الدول، أو عن طريق الأبواق التي لا عمل لها إلا نشر ما يفيد النظام الغربي ويطمْئنه.

(٣) محمد آدم: ما هي العولمة؟، مجلة النبأ، العدد ٤٢، ذو القعدة، ١٤٢٠هـ، شباط ٢٠٠٠م.

الذي يترتب عليه رسْم خريطة جديدة للعالم، وأما بالنسبة لسيطرة القطب الأمريكي في الاجتماع؛ فبأن يكون المواطن الأمريكي هو مركز الدائرة في تقاليده وعادته ولغته ودينه وحقوقه.

ولا ضير بعد ذلك أن يكون من بني جلدتنا منبهرون أو دعاة أو مقلِّدون على أقل تقدير، وليت الدعوة انحصرَت في أفراد قلائل؛ بل تحولَت إلى طائفة من المثقفين المتغرّبين الذين رأوا أن يحذُوا حذو الغرب في كل شيء، حتى لو دخلوا جُحر ضبٍّ لدخلوه وراءهم، وذلك كله مَحْوٌ للهُوية.

ومن مخاطر سيطرة القطب الواحد «الأمريكي» - الذي يمثل مركز الدائرة بالنسبة لقطرها أو الأطراف التابعة - أنه يريد دائماً المحافظة على مكانته في تحريك العالم بحيث يكون هو القوى الوحيدة المهيمِنة في كل المجالات، ولا يكون ذلك إلا بالتبعية والطاعة العمياء لأطراف الدائرة، ولا تتحقق التبعية إلا بالمحافظة على عدم ظهور كِيانات أخرى منافسة؛ وإنشاء هيئات عالمية مثل: صندوق النقد الدولي، البنك الدولي، منظمة الأمم المتحدة، مجلس الأمن، مبنى التجارة العالمي، ومحكمة العدل الدولية، ومن شأن تلك المؤسسات أن تَفرض الشروط التي تضمَن بها سيطرتها على الآخر وإخضاعِه، فالتمويل - عطاءً أو منعاً- يتوقف على درجة الاستجابة والرضوخ.

وذلك الأثر أو الضغط الاقتصادي والمعرفي والقيَمي، ينعكس بالضرورة في وعي الإنسان العربي وثقافته، فيتشكّل من جديد حسب المعايير والشروط من تلك الجهات والمنظمات، مدفوعاً بالاستجابة لضغوط الواقع والاستسلام لمصلحته الذاتية؛ ومن هنا يظهر دور العولمة الثقافية التي تهتم بثقافة الأقليات وتَدعمها في مقابل الأغلبية؛ وذلك بإحياء ثقافتها التي تنقسم بها ثقافة الأمة الواحدة، وتعمَل على تَوزُّعها بحيث أضحَت هذه الازدواجية الثقافية سببَ

انقسامها، ولا ريب أن الاهتمام بحقوق الأقليات ودعْم المرأة وحقوقها في مقابل الرجل؛ إنما كان رغبة في إيجاد الفرقة الاجتماعية وخَلق العدو الداخلي على مستوى الأسرة الصغيرة، فلا يملِك كل طرف سوى اللجوء إلى القوى المركزية التي تحاول أن تُعينه وتُشعل الاختلاف، وإن كان ذلك على مستوى الأسرة الصغيرة فإن الأمر ذاته نجده على مستوى الأُسَر الكبيرة والمجتمعات الأكبر، ألا ترى أن القوى العظمى تَدعم حكومات الدول كما تَدعم الأقليات بها في آنٍ واحد، أليس لها - إذا أرادت- أن تُرغم الحكومات على الانصياع لحقوق الأقليات إذا أرادت ذلك؟!

إن دولة المركز لا تتوقف عند ذلك، بل تسعى إلى خَلق «مؤسسات عولمية» تسعى إلى تفجير الأزمات، وبالتالي فهي تُعوّل على أرباح كبيرة في ميدان إيجاد الحلول لهذه الأزمات التي غالبًا ما تكون ضرورية لاستمرارٍ حيوي في حركة العولمة وتَنامي طاقاتها، فالحروب بالنسبة للدوائر الصناعية والشركات الصناعية الكبرى؛ تعني دورةً اقتصادية مهمة في بيع السلاح وإعادة إنتاجه وزيادة الأرباح[1]، لذا فالعولمة حريصة كل الحرص على بقاء العالم العربي والإسلامي مفتّتا ومشتّتا حتى تقوم كل دولة بشراء السلاح الذي تَظن أنه يَحميها، وتُسرف في ذلك وهي فقيرة لا تَملك شراء الغذاء، مريضة تبتاع الدواء، عارية تستورد الكساء، فتتحقق الهيمنة للشركات والقوى الفاعلة في مجتمع العولمة، فافتعال الأزمات وتجاوُزُها وإنتاجُها وإعادة إنتاجها؛ فِعلٌ عولمي، وليس أدَلَّ على ذلك من اهتمام تلك الدول بنشر التكنولوجيا وتقديم الوِرش والمِنح الكبيرة لتعليم التكنولوجيا والإنترنت؛ فضلاً عن القنوات الفضائية

(١) الثقافة الإسلامية إزاء تحديات العولمة، ١٠٧.

وبرامج الاتصالات مثل الهواتف والفاكس وبرامج الـ chat حتى ينفتحوا على العالم، ولم يَعُد غريباً أن نرى الأطباق الفضائية زهيدة الثمن؛ تغزو أسطح البيوت والمساكن بالقدر الذي غَزت به الأقمار الصناعية السماوات، ولا غرو أن تكون مشاهدة التلفاز بالمجان؛ فكل ذلك من وسائل العولمة الثقافية ومخالبها.

ذهب الألمانيان «هانس بيترمارتن وهارالد شومان» صاحبا كتاب فخ العولمة؛ إلى أنّ «العولمة هي الوصول بالبشرية إلى نمط واحد، في التغيير والأكل والملبس والعادات والتقاليد»[1]، وهذا كله كان على حساب هُويتنا الثقافية التي تحوّلت إلى ثقافة سمعيه وبصرية وحاسوبية وبنكية مادية خاضعة للهيمنة الأمريكية.

لقد كان للعولمة أثر كبير في ثورات الربيع العربي من حيث القدرة على الحشد والتأثير؛ إذ تطايَرت عدوى الثورة من بلد إلى آخر بفعل أدوات العولمة: الإعلام الفضائي، ومواقع الإنترنت، حاولَت العولمة أن تظهر في صور مختلفة مثل: حقوق الأقليات وحقوق الإنسان وحقوق المرأة والسلام العالمي وحوار الحضارات، رغم أن مؤرخي العولمة والمفكرين فيها هم أول من كتبوا عن «صدام الحضارات» و«نهاية التاريخ» باعتبار أن النموذج الأمريكي هو أقصى ما يمكن أن يصل إليه التقدم البشرى، ومن ثَم فهو المثال الذي يجب أن يأخذ به كل شعب، وكأن النموذج الأمريكي هو القدر الأبدي للبشرية، وهو تطبيق يَستخدم في عملية الاجتياح: أسلوبَ صراع الحضارات، بمعنى أن تَصرع

(١) فخ العولمة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية: ترجمة د.عدنان عباس على، ومراجعة د.رمزي زكي، سلسلة عالم المعرفة، ٢٣٨، أكتوبر ١٩٩٨م، ص٥٥-٥٨.

الحضارة الغربية ما عداها من الحضارات[١]، وهنا يتوقف التاريخ أو ينتهي عند ذلك الأنموذج الأمريكي الذي بلغ التمام، وبِناءً عليه عُرِّفت العولمةُ بأنها: «اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات، بل هي رديف الاختراق الثقافي الذي يَجري بالعنف المسلح بالثقافة فيهدد سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تَبلُغها العولمة»[٢].

الموقف من العولمة:

في رأيي أن الفرق لم يعُد كبيراً بين الآراء التي تَقبل بالعولمة على عواهنها، والتي تَرفُضها على إطلاقها، وتلك التي تلتزم التوفيق بين القبول المطلق والرفض المطلق؛ لأن النتيجة واحدة؛ وهي أن العولمة واقع ملموس في حياة كل اتجاه، فالاختلاف بينها مجرد تعبير عن الموقف، والأَولى بنا أن نعود إلى الأصول الضابطة للآراء، ومنها: أن العولمة تتعارض مع سنّة الله في التنوع والاختلاف الذي يُعَدّ آية من آيات الله، والدوران عكسه من الإفساد في الأرض ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، فالعولمة تسعى إلى فرْض لسان واحد ولغة عالمية واحدة تكون هي لغة الثقافة والتواصل وهي اللغة الإنجليزية، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]، فاختلاف اللغات والألسُن يقتضي التعارف والتآلف الذي لا يكون بين أهل لغة واحدة فحسب؛ بل يكون بين ثقافات مختلفة، ومن هنا يتأتى الثراء والتنوع والاطراد والتداول والتدافع، لكن

(١) د.محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ضمن سلسلة التنوير الإسلامي ٣٢، ص١٤.

(٢) عبد الإله بلقيز: مجلة المجمع العربي للمحاسبين القانونيين، العدد ١١، ١٩٩٩م، ص٣٨.

إذا كانت الثقافة واحدة فلن يكون التنافس المحمود والتدافع الشريف والتعارف المطلوب، فالدافعية إلى التعارف ستَقلّ بل تَنعدم، فماذا سأعرف من جديد إذا كان كل أصحابي من أبناء لغة واحدة؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣]، ولو كان التوحد المعرفي والثقافي جائزاً لأراده الله لعباده، ومن هنا كانت دعوة الرسل مختلفة حسب كل قوم ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

وإن كانت دعوة التوحيد واحدة، وأمرَنا الرسولُ ﷺ بأن نحدّث الناس على قدر عقولهم؛ لأن اللغة مختلفة باختلاف الأقوام، «فباطلٌ كل البطلان أن يكون في هذه الدنيا ثقافة واحدة يَشترك فيها البشر جميعاً ويمتزجون على اختلاف لغاتهم ومِللهم ونِحلهم وأجناسهم وأوطانهم، فهذا تدليس كبير يُراد بشيوعه بين الناس والأمم؛ فرْض سيطرة أمة غالبة على أمم مغلوبة لتبقى تبعاً لها، وإن كانت الأمم المغلوبة مولَعة بتقليد الغالب كما قال ابن خلدون في مقدمته، فالثقافات متعددة بتعدد المِلل، ومتميِّزة بتميز النِّحَل والمجتمعات، ولكل ثقافةٍ أسلوب في التفكير والنظر والاستدلال منتزَع من الدين الذي تَدين به لا محالة، فالثقافات المتباينة تتحاور وتتناظر وتتناقش، ولكن لا تتداخل تداخُلاً يُفضي إلى الامتزاج البتة، ولا يأخذ بعضها عن بعض شيئاً إلا بعد عرْضه على أسلوبها في التفكير والنظر والاستدلال، فإن استجاب للأسلوب أخذَته وعدّلَته وخلَّصَته من الشوائب، وإن استعصى نبذَتْه واطّرحَتْه»[1]، فهناك

(١) محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مكتبة الأسرة، ص ٧٥.

ارتباط واضح بين الثقافة والدين، واختلاف كبير بين العلم والثقافة، فالأول لا وطن له؛ مشاع بين الأمم جميعـًا، أما الثاني فمرتبط بأمة واحدة، أو بالأحرى بدين واحد[١].

وتأسيسًا على ذلك؛ فالتعددية الثقافية والفكرية هي مناط أصالة الأمم ونبْع الحضارات، وفي المقابل: «زوال التعددية الحضارية والتنوع في الهويات الثقافية - في ظل الخلل القائم بين هيمنة الشمال واستضعاف الجنوب- سيجعل المرسِل دائمًا هو الشمال، والمتلقي دائما هو الجنوب.. وسيُحكَم علينا بالتقليد لهذه الحداثة الغربية المتعَولمة دائمًا وأبداً، وذلك لأن التعددية التي يراها الإسلام سنّة من سُنن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل»[٢]،وعظمة الإسلام أن يتواصل عالميًا مع تلك الثقافات المتعددة والمتنوعة، ولكن من طريق مشروع هو العالمية.

العولمة والعالمية:

لا نتجاوز الحق إذا قلنا إن العولمة إطار تاريخي لم يقُم به الغرب وحده في العصر الحديث؛ بل سبَق وأن قام به المسلمون تحت اسم العالمية، وعرَفه العالم كله من قبلُ خلال تسويد ثقافة على غيرها، فسادَت ثقافة اليونان والرومان على غيرها من الثقافات الموجودة في عصرها، وذاعَت الثقافة العربية والإسلامية شرقًا وغربًا إلى جنوب فرنسا، ثم يَعرِف العالم الآن الثقافة الأمريكية التي تختزل الكونَ كله في ثقافة الفوضى والجنس والتسلط والاستهلاك، ولكننا إذا أردنا أن نُقارن بينهما فإن المقارنة تكون ظالمة،

(١) محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، صـ٧٥.

(٢) د.محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ص ٤١.

فالعولمة تسعى لنشر ثقافة واحدة واقتصاد رأسمالي واحد ونمَط معيشي واحد ودِين واحد؛ وليس أدلَّ على ذلك من الحروب الصليبية وصولات الاستعمار في بلدان العالم الإسلامي كله في القرنين التاسع عشر والعشرين؛ بحيث أضحَت دُوَلُه كلُّها خاضعةً لسياسةٍ وثقافة غربية، ولكنَّ العالمية حافظَت على هُوية الشعوب وخصائصها ولم تسْعَ إلى مَحْوِها أو استلابها وليس من مبتغاها فرْض نمط معين؛ لأن هدفَها نشرُ رسالة الإسلام ومبادئها خارج نطاق الحدود والقيود، وهنا يَخسر العالم بانحطاط المسلمين كما عَنْونَ الشيخ الندْوي لكتابه «ماذا خسِر العالم بانحطاط المسلمين؟»، وصدَق من قال إن العولمة هي إرادة الهيمنة ونفي خصوصيات الآخرين، وهي محاولة فجَّة لابتلاع العالم، في حين أن العالمية - على العكس من ذلك - هي طموح للارتقاء بالخصوصية إلى العالمية مع الحفاظ على خصوصيات الآخرين.

٢ - مفهوم الهُوية:

هي جوهر الشيء وحقيقته المشتملة عليه اشتمال النواة على الشجرة وثمارها، والفيلسوف اليوناني المشهور أرسطو، وضَع قوانين للفكر الإنساني تعود في نهايتها إلى قانون الهوية، أي: أن الشيء هو هو أو هو ذاته، فهُوية الإنسان أو الثقافة أو الحضارة هي جوهرها وحقيقتها، ولماّ كان في كل الأشياء - إنسانًا أو ثقافةً أو حضارة - ثوابت ومتغيرات؛ «فإن هوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد ولا تتغير...إنها كبصمة الإنسان يتميز بها عن غيره، وتتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهُها كلما أُزيلت من فوقها طوارئ الطمس والحجب، دون أن تُخْلي مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات»[١].

(١) د. محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ص ٦.

وبِناءً عليه فالإنسان العربي هو الإنسان العربي وإن تأمْرَكَ، والأمريكي هو ذاته وإن تعرّب، ولعل القائل: إن الشرق شرقٌ والغرب غربٌ ولن يلتقيا، كان في ذهنه مفهوم الهوية والذاتية، والهوية «لأية أمة أو شعب هي حصيلة العقيدة والفكر واللغة والتاريخ والفنون والآداب والتراث والقيم والعادات والأخلاق والوجدان ومعايير العقل والسلوك، وغيرها من المقومات التي تتمايز بها الأمم والشعوب والمجتمعات...كما أن الهوية في القدر الثابت والجوهري: المشترَك من السِّمات والقسمات العامة التي تميّز حضارة أمة عن غيرها من الحضارات...وهي أيضا الكل المتجانَس من الذكريات والتصوّرات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلّعات، التي تحتفظ لجماعةٍ بشرية بشكلٍ تشكّله أمة بهويتها الحضارية»[١]، ونَلحظ أن الفرق غير كبير بين مفهوم الهوية من جهة، ومفهوم الثقافة من جهة كما سيأتي.

ومن مقومات الهُوية: الدين الإسلامي فهو أكبر مقوماتها، وإن كانت هناك أديان أخرى كاليهودية والمسيحية في بلاد الإسلام، فالدين في الأنظمة العلمانية: عبادات وعادات ومعاملات بعيداً عن مفهوم الدولة، بمعنى فصل الدين عن الدولة، ولكن التهذيب والثقافة والقيم المنتشرة في بلاد الشرق؛ هي ذاتها الهوية الإسلامية التي تتجلى في رابط اللغة والتاريخ، ولعل سبب الاهتمام بالهوية في العصر الحديث؛ راجع إلى سببين: الشعور بالخطر، والشعور بالحاجة إلى الإصلاح والتغيير[٢]، وكل ذلك في مواجهة الحضارة الغربية أو مقارَنة بها.

فالمشكل الآن: أننا نَفقد هُويتنا ونتباهَى مع غيرنا طمعاً في التقدم الذي

(١) د.سليمان كايد: دور الجامعات في مواجهة تحديات العولمة الثقافية وبناء الهوية العربية الأصيلة والمعاصرة، ص ٣.

(٢) د.خليل نوري مسيهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، بغداد ، ص ١٥.

حققوه ومنجزاته التي بهرَتنا وأضاعَت قيمنا وثقافتنا، فالغرب لم يُصدِّر منتجاته فحسب، بل صدَّر معها ثقافته لنتَّبعه حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، فإذا استغرقنا في الأمرَكة ولبِسنا مُسوحَ الغرب: فهل سيقبلُنا كجزءٍ منه؟ لا؛ بل إن العرب والمسلمين قد تخلوا عن جزء كبير من هُويتهم وعبَّروا عن هُوية مؤسفة لواقع بئيس يصدّ عن الإسلام من خلال سلوك بعضهم، فقد تغير الإنسان العربي (هُويةً)؛ بل أصبحَت لديه قابلية للاستعباد كما قال مالك بن نبي، وكذلك الاستبداد له طبائع مختلفة كما ذكر الكواكبي، تَصدُق على حال الإنسان العربي اليوم، فقد بات غائباً عن ثقافته إلى حدٍّ بعيد، وصار الجدار العازل بينه وبينها يعلو يوماً بعد يوم، لأنه يراد بنا أن ندور في فلك غربي رغما عن هُويتنا وطبيعتنا!!.

«إن العولمة الثقافية هي تَحوّل الهوية الثقافية من إطارها القومي الخاص؛ إلى الاندماج والتفاعل والتكامل مع الهويات الثقافية الأخرى في ظل الهوية الثقافية الأحادية، وإن كانت العولمة تَفرض نفسها حتى باستخدام القوة، فتُصبح العولمة الثقافية بذلك فرْض منهجٍ وثقافةٍ غربية أمريكية بالهيمنة على العالم وشعوبه وأفراده، مسْخاً لهم وإهداراً لخصوصياتهم، إلى درجةِ أن لا يكون لأي مجتمع ثقافة ذاتية وهُوية شخصية أو خصوصية» [١].

٣- مفهوم الثقافة الإسلامية:

مفهوم الثقافة: الثقافة في ذاتها كلمة جامعة بين التراث القديم غير المادي المتكون على مر السنين، ويعكس رؤية مجتمع من المجتمعات للتصورات المتعلقة بالله والعالم والإنسان، وبين الأمور المعاصرة التي تتحدى الأمة، والثقافة بعبارة أخرى: «هي كل ما يُسهم في عمران النفس وتهذيبها..فالتثقيف

(١) أثر العولمة على الهوية الثقافية، ص ٩٥.

من معانيه: التهذيب...أي: تهذيب النفس الإنسانية بالأفكار والعقائد والقيم والآداب والفنون- وكلاهما - الثقافة والمدَنية - عِمران..عمران للنفس وعمران للواقع، ولذلك مَثّلا شِقَّي الحضارة- التي هي العمران»[١]، فهي كمفهومٍ يولَد في كَنَف المجتمع ليعبّر عن جزء كبير يتفق فيه قطاعٌ كبير من الناس الذين يعيشون في ذلك المكان.

وبِناءً على ذلك يمكن القول إن الثقافة «مجموعة المعارف والمفاهيم التي يمكن أن يتزوّد بها الإنسان المسلم في العصر الحاضر، بحيث تَجعله قادراً على إدراك الواقع المحيط به، سواء كان محليـًا أم عالميـًا، واتخاذ الموقف المناسب منه؛ لأن الثقافة لا تقتصر على المدرَكات الذهنية، وإنما تمتَد لتشمل السلوكَ والتصرفات، فنحن لا نستطيع أن نَعرف الهوية الثقافية لشخص صامتٍ حتى يتحدّث، ولا نستطيع أن نَحكُم على مستواه الثقافي حتى يقوم بسلوك معين يُثبت أنه كذلك، أي يستحق هذا الوصف»[٢]، ومن ثَم فالثقافة هي المعبّرة عن الهوية والذاتية، وهناك مَن صوَّر الهوية بالطريدة بينما يأخذ مفهومُ العولمة دورَ الصياد، أي أن العولمة تطارد الهوية وتلاحقُها وتحاصرها وتحاول أن تُجْهز عليها ثم تتغذّى بها.

وتأسيسـًا على ذلك؛ تتمايز ثقافات الحضارات باختلاف العقائد والأديان والآداب، والثقافة الإسلامية تقوم على الكليات والعموميات الواردة في كتاب الله تعالى ولا تُغفِل التفاصيل المعبّرة عن سلوكيات عملية موجودة في الواقع تتأتي بالقدوة والاحتذاء بنهج النبي ﷺ، ومن ثَم تتكامل ولا يَغلب عليها الطابع النظري فحسب.

---

(١) د.محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ص ٥.

(٢) د.حامد طاهر: المكونات المعرفية للثقافة الإسلامية، بحث غير منشور، ص ١.

ومن الجلي أن الثقافات القوية ذات الأصول والجذور؛ يمكِنها مقاومة المد العولمي والثقافات الوافدة بَناءً على قدرتها على الانتقاد من خلال تلك الأصول الراسخة، أما الثقافات الهشة الضعيفة فسرعان ما تذوب وتتهاوَى، وكل ثقافة تختلف من عصر إلى عصر؛ فهي نتاج بشري ينمو ويزاد عمقاً واتساعاً بجهود البشر، فالثقافة الجاهلية تختلف عن الثقافة الإسلامية وعن ثقافة الحاضر،«فالثقافة العربية في عصر المعرّي ببلاد الشام، وابن رُشد في الأندلس، ليست الثقافة العربية في العصر الجاهلي أو صدر الإسلام أو العصر الأموي»[(١)]، فهي ليست ثقافة مرئية ومسموعة كما في الوقت الراهن؛ لذا تَكثر الشائعات والأخبار المكذوبة - في ثقافتنا المعاصرة - عن أي وقت مضى، فالمثقّف الآن هو مَن له حساب على موقع التواصل الاجتماعي، ويتسمّع بعضَ النتف من هنا وهناك، ولم يعُد للقراءة دور في التعبئة الثقافية كما كان الحال في الماضي، وذلك من أخطر الأزمات التي تواجه الثقافة الإسلامية.

من هنا نجد أن العولمة الثقافية تقوم على أساسين: التقدم التكنولوجي الهائل في وسائل الاتصال الحديثة كالإنترنت وتطبيقاته، والاقتصاد الرأسمالي الحر القائم على عقد اتفاقيات تَحفظ حرية انتقال الأموال والممتلكات بين الدول كاتفاقية الجات، فضلاً عن الشركات متعددة الجنسيات التي تعبّر عن ثقافات الدول الغَنية، ومعلوم أن رأس المال هو المحرّك الديناميكي لعجلة التقدم، فالمادة أو المصلحة هي التي تحرك الصناعات والمخترعات؛ وذلك يعني أن تكون الثقافة تابعةً ومعبرةً عن ذلك الاقتصاد الحر، ومن أدوات التعبير عن تلك التبعية الثقافية: وسائل الإعلام؛ فباعتبارها صناعة اقتصادية كبرى؛ باتَت تُعبّر عن قيم وعادات وتقاليد ونُظم وسلوكيات غربيّة استهلاكية، فالثقافة

(١) د. فرحان السليم: الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة، ص ٤.

الوضعية يريد الغرب تعميمَها ونشرَها على أوسع نطاق بحيث تكون هي الأساس الذي يدور العالم كله في فَلكه ويصبح هو مركز الدائرة، في حين أن الثقافة الإسلامية - وهي نِتاج دين سماوي شريف -لم يسْعَ بعض أتباعها من المسلمين إلى نشرها، بل أصبحوا يخجَلون منها ومن لُغتهم، وتلك المفارقة بين الشرق والغرب من حيث الاهتمامُ بالثقافة؛ تدعو للنظر في حال الثقافة الإسلامية يوم كان للإسلام حضارة ودولة.

لقد كانت الثقافة الأوروبية في عصر النهضة؛ تَلقى قَبولاً لدى بعض طلاب البعثات العربية، وأصبحوا عند عودتهم دعاةً للغرب انبهاراً به وبثقافته وحضارته، ومع تطور الزمان خفَّت تلك النغمة ولم تعُد كسابق عهدها، حيث أصبحَت الهيمنة عالميةً فلم يعُد يدعو إلى الثقافة أفراد ودعاة، وإنما أنظمة ودول كبرى تسعى إلى نشرها في كل الطبقات العربية عن طريق الفضائيات التي تحدِّث العرب على قدر عقولهم، ولم تعُد تسمح بمبالغة دعاة التغريب في نقْل ثقافة الغرب وقِيمه كلِّها بأسلوب: نعيش كما يعيشون، ونأكل كما يأكلون مكتفين بالتأثير الطاغي على الشرق تحت أوهام الحرية، على الرغم من الهيمنة المحْكمة عليه وعلى مُقدَّراته، فغاية الأمر أنهم لا يريدون التقدم لنا حقيقةً؛ بل يريدوننا مسخاً تابعاً فحسب، ولستُ متشائماً إذا قلتُ إن القوى العظمى تلعب دوراً كبيراً في الوقوف إلى جانب حريات الشعوب المقهورة بحيث تمنحها الحرية التي تمَكِّنها من التقليد والأخذ عن الغرب قيَمه وثقافته، فهي لم تقُم بهذا الدور اعتباطاً أو نُصفةً لمظلوم، وإنما تقوم به بقدْرِ حرية الاعتقاد فيعتقد المسلم ديناً آخر، وبقدر حرية الاقتصاد فتأخذ الدول الضعيفة باقتصاديات الدول الرأسمالية، وبقدر حرية الاجتماع فتنحلّ أواصر الأسرة، وذلك كله يوطد دعائم العولمة الثقافية.

المبحث الثاني

منابع الثقافة الإسلامية ونشأتها

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وعلومهما، والتاريخ الإسلامي بعصوره المختلفة، واللغة العربية التي حفِظَت كل ذلك؛ من أهم منابع الثقافة الإسلامية، فلدينا علوم الوسائل والغايات، ومنها: (النحو، الصرف، العَروض، الدلالة، البلاغة، الأدب)، أما علوم القرآن الكريم والسنة فهي علوم الغايات؛ ومنها: (التفسير، الحديث، الفقه، أصول الفقه، مصطلح الحديث، الجرح والتعديل، السيرة النبوية، التاريخ).

ولكن لمّا كانت الأمة الإسلامية فتيَّة؛ لم يُخشَ عليها الثقافات الوافدة، ولكن حين ضعُفَتْ تلبَّسَتها تلك الروح الغربية وأحدثَت الفُرقةَ والاختلاف في صفوف مثقفيها، وصار الجدل بشأنها بين فريق مؤيّد للوافد الدخيل، وهم فلاسفة الإسلام، وفريق معارض لتقديمها والإعجاب بها حفظاً للدين ولمكانته في نفوس المسلمين، وعلى رأس هؤلاء: أبو حامد الغزالي في كتابه «تهافت الفلاسفة»، وعلاء الدين الطوسي وخواجة زادَه، كما لم يُسَلِّم لهم ابن رُشد فيلسوف قرطبة العظيم يوم كانت دولة الأندلس فتيّة قوية أبيّة.

تلك هي منظومة العلوم الإسلامية التي نشأَت حول القرآن الكريم والسنة النبوية، وكوَّنت في مجموعها مصطلح الثقافة الإسلامية الكلاسيكية؛ باعتبارها الثقافة التي كوّنَت الرصيد الأساس للمسلمين - علماء ومتعلمين - خلال مسيرتهم عبر القرون وحتى اليوم، حيث هي - بهذا الشكل - موجودة في معاهد التعليم التقليدية، كالأزهر في مصر، والزيتونة في تونس، وفاس في المغرب، ومعظم الجامعات السعودية والخليجية، إلى جانب الجامعات الإسلامية في

باكستان وأفغانستان وإندونيسيا وماليزيا، وهي التي يقوم عليها نظام التعليم الإسلامي في دول الكومنولث الإسلامي، مثل كازاخستان وأوزباكستان، بل إن الحسينيّات في إيران مازالت تدور حول هذه المنظومة التعليمية، والخلاصة أنها هي التي تُكوّن ثقافة المسلم المعاصر حتى اليوم.[١]

ولا ريب أن العلوم الإسلامية كلها قد انطلقَت من مفهوم أوسع وهو الفقه في الدين وتاريخه ولُغته، والله تعالى يقول: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، والرسول ﷺ يقول: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[٢]، فالعلوم الإسلامية نابعة من الدين وتقوم على خدمته، والقرآن محفوظ وهو لُبّ هذا الدين: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، بعكس الكتب السماوية السابقة، فهذا أمر تكفّل الله تعالى به، فليس لنا أن نقول إننا نودُّ أن نتعلم علوم الوسائل لحفظ الدين أو خشيةً عليه، بل الدين هو الذي حَفِظها وأبقاها لنا وشرَّفها بجعْلِها وسيلة إليه، وليس أدَلَّ على ذلك من انتشار الإسلام اليوم رغم تقصير المسلمين في الدعوة إليه وعدم امتلاكهم الجديد لوسائله وعلومه التي تُمثّل في عمومها الثقافة الإسلامية.

وإذا أردنا أن نتعرف على الثقافة الإسلامية في الشرق الإسلامي مقارنةً بالغرب الأوروبي؛ فلنقرأ شهادة مستشرقة غربية ألمانية مُنصِفة في كتابها القيّم:

---

(١) د.حامد طاهر: مرجع سابق، ص ٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم ٧٠، كتاب العلم، باب من يُرد الله به خيراً، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ خَطِيبًا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ**».

«شمس الإسلام تَسْطع على الغرب» إذ تقول: «إذْ أقبل العربُ على اقتناء الكتب إقبالاً منقطع النظير، يشبه إلى حد كبير شغفَ الناس في عصرنا هذا باقتناء السيارات والثلاجات وأجهزة التلفاز بعد الدمار الذي أصابهم إبَّان الحرب العالمية... فأصبحَت الكتب مَطلبَ مَن يستطيع تحمّل نفقات الحصول عليها، وأقبل الناس في البلدان العربية على اقتنائها بلهفة متزايدة لم يَعرِف التاريخ من قبلُ لها مثيلاً، وكما يقاس ثراءُ الناس اليوم بمدى ما يملِكون من عربات فاخرة مثلاً؛ قدّر الناسُ في ذلك العصر الممتد من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر الثراءَ؛ بمدى ما يَقتنون من كتب أو مخطوطات، ولم يكن الخليفة ليُهدي الجماهيرَ هدية تتفق مع مزاجهم أجملَ من إنشائه مكتبة ضخمة في بغداد عُرفت بدار الحكمة، ونمَت دُور الكتب في كل مكان نُمُوَّ العُشب في الأرض الطيبة، ففي عام ٨٩١ م، يُحصي مسافر عدد دُور الكتب في بغداد بأكثر من مائة، وبدأت كل مدينة تَبني لها داراً للكتب يستطيع عمرو أو زيدٌ من الناس استعارة ما يشاء منها، وأن يجلس في قاعات المطالعة ليقرأ ما يريد، كما يجتمع فيها المترجمون والمؤلفون في قاعات خُصصت لهم يتجادلون ويتناقشون كما يَحدث اليوم في أرقى الأندية العلمية»[1]، فتلك شهادةٌ لما كان عليه حال الثقافة الإسلامية في العصر العباسي مقارنةً بحال الغرب في ذلك الوقت بل حتى الآن، والحقّ ما شهِدَت به الأعداءُ كما يقال، ولم يَأنف المسلمون من الإفادة والانفتاح على تراث غيرهم من أصحاب الأمم المغلوبة، فالحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أَولى بها، ولكنهم لم يَحفَلوا بغير العلم الذي كان بُغيتَهم إلى الأمم المفتوحة، حتى إنهم كانوا - أيام العباسيين - يطلبون إلى

(١) شمس العرب تسطع على الغرب: زيجرد هونكه، ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي، ص٣٨٨.

المغلوبين عند إملاء شروط الصلح؛ أن يقدّموا لهم كتبَ العلم والفلسفة والطب غرامةً حربية، «فَعلوا ذلك مثلاً في صُلحهم مع الروم»، مما يؤكد أنهم كانوا على استعداد لقبول هذه العلوم، وهكذا انتهَت إلى العربية روافدُ الثقافة من شتى أقطار الأرض، حتى إذا ما استوعبَتها؛ حمَلت لواءَ العلم والحضارة لعدة قرون[١].

لقد أجرى الدكتور زكي نجيب محمود في كتابه «عربي بين ثقافتين»؛ مقارنةً بين ثقافتنا في فترتين مختلفتين: فترة القديم المبدِع، وفترة الحديث الحاكي، فالقديم في القرون الثلاثة الأولى إلى القرن العاشر الهجري، فالقرن الأول هو قرْن البناء للمبادئ والقوانين والقواعد، والثاني قرْن التفكير وإبداع العلوم كعلوم اللغة وعلوم الدين، والثالث قرْن الانفتاح على الثقافات المعاصرة عن طريق عملية الترجمة وصولاً إلى القرن العاشر، إلى أن يقول: «ومرة أخرى نُنبّه حتى لا ننسى الفارقَ بين الروح السائدة في عملية النقل عن الآخرين في الحالة الأولى، والروحَ التي سادت تلك العمليةَ نفسَها في الحالة الثانية، فلقد كنا في الحالة الأولى نَنقل لنكون سادةً على ما نقلناه، بمعنى ألا ننظر إلى المنقول نظرةَ الفقير إلى ما يَنعم به الأغنياء، بل كنا نَنظر إليه نظرة القوي يضيفُ باختياره قوةً إلى قوته، وأما في الحالة الثانية فقد أخذنا نَنقل عن الآخرين نقلَ المعوِز عمَّن عنده القوت»[٢]، ولو أمدَّ الله في عُمره لرأى أننا نَقلْنا نقلاً أعمى لما يَصلح وما لا يَصلح، بحيث أصبحنا مقلّدين بلا وعْيٍ أو إدراك، وإن وجدنا القُوت.

---

(١) د.عبد الفتاح محمد وهيبة: مكانة الجغرافية من الثقافة الإسلامية، ص ٦.

(٢) زكي نجيب محمود: عربي بين ثقافتين، ص ٣٨٤.

ومما يزيد من خطورة العولمة على هُويتنا الثقافية الآن: أن هنالك انفجاراً معرفياً لا حدود له يتأتى عن طريق ثورة المعلومات الهائلة التي تنتقل من نطاقٍ جغرافي بعيدٍ إلى مدى أبعد بضغطةِ زِرٍّ واحدة من خلال شبكة الإنترنت التي مكَّنت من اختزال المسافات واختراق الخصوصيات والهويات والثقافات؛ الأمر الذي يهدّد تاريخ الأمم ولُغاتها وعاداتها وتقاليدها ودينها لتُصبح بلا ذاكرة تاريخية تتلاشى معها كلُّ ثقافة وتَقتلع أيَّ دين؛ لأن العولمة سيلٌ جارف يصنع خريطةً معرفيةً جديدةً ووطناً جديداً لمن يمتلك أدواتِه ووسائلَه.

المبحث الثالث

أثر العولمة على الهوية الثقافية

تتمحور الهوية الثقافية الإسلامية حول عدد من المحاور المهمة وهي: الدين، والتاريخ، واللغة.

أما الدين فحوّلوه إلى تاريخ يجب أن نتجاوزَه، بل جعَله العلمانيون عقبةً في سبيل التطور والتقدم، وقصَروه فقط على العبادة في المسجد دون أن يكون موجِّهاً لسلوكيات الناس وتعاملاتهم، وغابَت معه السياسة الشرعية، فأصبح المسلِم منطوياً على انفصامٍ بين أوامر دينه وثقافة واقعه، فيرى أخاه المسلمَ يُقتَل ولا يهتم بأمره، بل أصبح ذلك مَنظراً مألوفا لديه يراه يومياً بالفضائيات ولا يحرّك ساكناً، وهذا من مساوئ العولمة، وإذا قارنَّا حالَ المرأة المسلمة التي صرخَت يوماً: «وامُعتصماه» فانتفض جيشٌ بأكمله لنُصرتها؛ بحالها الآن، لوجدْنا المرأة العصرية أو الجديدة كما سمّاها قاسم أمين؛ تهتمّ فقط بأحدث صيحات الموضة، وتَرى في الحجاب رجْعيّةً وتخلّفاً، وسفورها وتبرّجها أصبحا واقعها ومستقبلها، صارت كسلعةٍ تُباع وتشترى في مشاهد خليعة ومبتذَلة، وأضحَت مصدراً لتسويق السلع ناهيك عن أنها ذاتها أصبحَت سلعة، ولقد أصبحْنا اليوم في شُغل بأمر أنفسنا، نُغلّب الأَثَرة على الإيثار، والمصلحةَ على الدين، والقويَّ على الضعيف، الأمر الذي أصبح الدين معه شعاراً أو عبادةً وعادةً فحسب.

وأما اللغة فلم تعُد اللغة العربية لغةً يسعى الأوروبيون لتعلّمها باعتبارها لغة العلم والإبداع كما كان الحال في دولة الإسلام في الأندلس، بل أضحَت اللغات الأخرى تَغزوها على ألسنة أبنائها من المتفرْنجين والمتحذْلِقين الذين باتوا

يأنَفون من الحديث بها والانتماء إلى شريف لسانها، مستعملين الإنجليزية وغيرها من اللغات التي لا تظهر فقط على ألسنة المتفرْنجين؛ بل في عناوين المحلات التجارية والملبوسات والأطعمة وغيرها، بل يسعى العرب والمسلمون إلى تعليم الأطفال اللغات الأجنبية قبل أن يتعلّموا لغتهم القومية «العربية» الرسمية، طمعاً في الالتحاق برَكب العولمة والتطور؛ على اعتبار أن ذلك هو مستقبل العالم ومستقبل أبنائهم أيضاً، والإعلام ذاته يسعى إلى وأد العربية لصالح العامية المبتذلة، والسينما تَجعل من اللغة العربية الفصحى؛ لغةَ ضحكٍ وسخرية من معلّميها.

إن اللغات تعبّر عن موقف حضاري تَقوى فيه اللغة بقوة الحضارة؛ لأنها تعبّر عن الاكتشافات والمخترعات والمحدثات التي تغزونا الآن بلغة مبدعيها، وتَضعُف وتتوارى إذا كانت الحضارة ضعيفة لأنها لا تعبّر عن شيء ذا بال حتى وإن حاولَتْ أن تستوعب اللغات المبدعة الأخرى عن طريق المعرب والدخيل؛ في محاولة منها للّحاق برَكب الدول المتقدمة حضارياً وثقافياً.

أما التاريخ والتراث: فإننا نمتلك تراثاً هائلاً هو نتاج تقدّمٍ وحضارةٍ سادت القرونَ الأولى من دولة الإسلام، وهذا التراث يمثّل أصالتنا، فهل نتركه ونأخذ بالتراث الغربي أم نعيد إحياءه؟ تلك هي إشكالية الجمع بين الأصالة والمعاصرة وإقامة التوازن بحيث لا يَطغى تراث الماضيين على حاضر الأمة فنقع في الغربة، يجب ألا يطغى واقع الحاضر والعولمة على ماضي الأمة فنفقد هُويتَنَا وثقافتنا في مقابل الحداثة وقيمها، والخير كل الخير في إقامة التوازن بين الماضي المفيد الذي يحفظ للأمة هُويتها، والحاضر الذي يَضمن المحافظة على مكانتها واستمراريتها، ولقد «شكّلت العولمة تهديداً ضمنياً وصريحاً للثقافات الوطنية، ولكن هذا التهديد وهذه المخاطر تتضاعف بصورة مخيفة

عندما يتعلق الأمر بالثقافات المستهدَفة؛ كالثقافة العربية الإسلامية التي تَشهد هجمة تاريخية يَندُر مثيلُها في تاريخ الصراع الثقافي على امتداد الزمن، ذلك لأن الثقافة العربية الإسلامية بما تنطوي عليه من قيم حضارية وإنسانية؛ تُشكّل حِصنًا منيعًا يقف في وجه التحديات الكبرى التي تتقدم لاجتياح ثقافات العالم وتفكيك الانتماءات التاريخية والثقافية لشعوبه، ولذلك صنَّفوا الثقافة الإسلامية في مقدمة الثقافات التي تشكّل جبهة عاتية من جبهات الصدام الحضاري الذي تحدَّث عنه صمويل هنتجتون في كتابه صراع الحضارات»[(١)]، أما حالُنا الآن؛ فلا تهتم وزارات الثقافة العربية إلا بالثقافات الغربية والكتب المترجمة عن الغرب والمسرح والسينما، وكل ذلك نابع من تهديدات العولمة الحديثة لثقافتنا العربية والإسلامية، لاسيما الإصلاحيين والداعين إلى إحياء الثقافة الإسلامية.

(١) د.علي أسعد وطفة: الثقافة العربية الإسلامية إزاء تحديات العولمة وفرصها، آراء عيِّنة من أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة الكويت، بحث منشور بمجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد ٤١، أبريل ٢٠٠٣م، ص١٠٢.

عولمة الثقافة الإسلامية

سأحاول هنا أن أعرض بعض الحلول، أو بالأحرى أجيب عن السؤال التالي: كيف نُنتج ثقافة إسلامية أصيلة صامدة وعالمية لنحافظ على الهوية الثقافية الإسلامية؟

أولاً: الإعداد الذاتي (التغيير على مستوى الفرد، والإعداد على مستوى الأمة):

وهذا الإعداد يتطلب خطوتين مهمتين: الأولى على مستوى الفرد؛ فلا يفلح أيُّ تغييرٍ ما لم يكن كل فرد في الأمة طرفًا فيه، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]؛ وذلك بالعودة للأصول الإسلامية الأولى التي كانت سببًا في تقدم الحضارة الإسلامية، والجمع بين العلم والعمل والإتقان، والحفاظ على منظومة القيم من التحلل، عن طريق تفعيل المبدأ الإسلامي: الأمر في المعروف والنهي عن المنكر، على مستوى الفرد بأن يكون وليًا مباشرا أو ذا قدرة، وعلى مستوى الحاكم إذا امتنعت الولاية المباشرة، وهذا يقودنا إلى الانتقال للمستوى الثاني من الإعداد وهو الإعداد على مستوى الأمة، ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠][1]، بتقديم العلماءِ حمَلَةِ العلم وأهلِ الكفاءة على مَن سواهم، والأخذ بأسباب قوة العلم التجريبي، وإلزام الإعلام باللغة العربية، والحفاظ على منظومة القيم والأخلاقيات، وفرْض الرقابة على مواقع الإنترنت المحظورة، والسير على سنة النبي ﷺ في

(١) د.مصطفى حلمي: كيف نصون الهوية الثقافية الإسلامية في عصر العولمة؟ بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولي الرابع بقسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة بعنوان الإسلام في عصر العولمة، أبريل ١٩٩٩م، ص٦٢٦.

كل مناحي الحياة العملية، وإنشاء جهاز علمي لنقل العلم النافع وتعريبه أيـًا كان وطنه ودينه حتى يصبح ثقافة، وتحفيز إنتاج العلم حتى يصبح هوية.

ثانياً: التوحيد والوحدة:

الوحدة ضرورة أكثر من ذي قبل، لمواجهة العولمة أو الغزو الفكري الذي لا يعبأ بالتكتلات الصغرى ولا يحفل إلا بالتكتلات الكبرى التي تستطيع من خلال الوحدة الحفاظ على هويتها، والتوحيد والوحدة بينهما علاقة وثيقة، فالوحدة تتحقق بالنهج على سيرة الرسول الكريم ﷺ؛ الذي أرسى مفهوم التوحيد لله وحده، والتخلص من علائق الدنيا والأوهام والخرافات والسحر، ليكون العباد جميعـًا محررين بالعبودية لله وحده وعلى قلب رجل واحد، والتوحيد والوحدة من أهم الدعائم التي تحافظ على هوية الثقافة الإسلامية من الذوبان، وتجعلها صامدة صلْبة أبيّة، ولا ريب أن أمة التوحيد تمتلك من عناصر الوحدة ما تفتقده سائر الأمم وتسعى إليه، ولا يضير تلك الأمم الغربية أن تتحايل على فُرقتها بالتحالفات والتكتلات والاتحادات من أجل تحقيق مصالحها الحياتية، أمَا وقد اجتمعت أمة التوحيد على عبادة رب واحد بلسان يلهج بشهادة التوحيد، وقلب واحد متوجه إلى قبلة واحدة، فلا غرو أن تتوحد لاسيما أن لها تاريخـًا مشتركـًا، ولكن على الرغم من وحدة مصدرها إلهـًا وكتابـًا، ووحدة تاريخها حدثـًا وزمانـًا، ووحدة لسانها نُطقـًا وبيانـًا؛ إلا أنها تأبَى أن تعيش في وحدة نابعة من فهمٍ لحقيقة التوحيد الأولى في عصر النبوة الذي لم يبق منه الآن إلا كباقي الوشم في ظاهر اليد، ولم يكن ذلك إلا لخللٍ في محاولة فهمه وتحوُّل الإنسان من التوحيد والوحدة إلى التشرذم والتفرق!! وذلك بعد عزله عن مجريات الحياة.

ولو تأملنا فُرقَتنا تلك؛ لوجدنا أن أقرب شَبه لها ما كانت عليه القبائل العربية قبل الإسلام في تنافرها وتناحرها وانفراط عِقدها وذهاب مجدها، وما أشبه اليومَ بالبارحة، ولكن حين جاء الإسلام؛ تحولت الفُرقة إلى وحدة، والحسد إلى غِبطة، والعداوة إلى مودة ومحبة، والصراع إلى تعاون...ولم يكن ذلك إلا بتأليف الله الواحد بين قلوبهم ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]، وهكذا سارت رسالة التوحيد في عهد الرسول ﷺ من التعدد إلى الوحدة، ومن التشتت إلى الاستقرار، واعتصم المسلمون بحبل الله المتين، مستجيبين لدعوة الله ورسوله ﷺ، فصلوا جماعةً واحدةً، وقاتلوا صفاً واحداً، وحجّوا بيتاً واحداً، فكانت لهم دولة عزيزة تُدوِّي في أركانها كلمةُ التوحيد قبل توحيد الكلمة، ورغم اجتماع تلك الأواصر؛ لم تتحقق الوحدة ، فلماذا لا يُثمر التوحيد وحدةً حقيقية في الوقت الراهن؟

ليس عسيراً أو خطيراً أن تختلف الوسائل أو اللغات أو الأعراق والألوان أو التاريخ في أمة واحدة، وإنما الخطورة حين تختلف الغايات ويغيب المصدر الأصيل الذي ينبغي العود إليه: كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، حينذاك يضِلّ الإنسان سبيل الرشاد، ويفقد وعيه ومصداقيته، أما إذا اتفق الناس على التوحيد الحق لله تعالى؛ فتذوب مِظنة الخلاف وتسقط بنُطق الشهادتين ولو كان القائل أسود حبَشياً أو أبيض رومياً، فلا فرق بين أن يكون عربياً أو إفرنجياً...فأصل التوحيد هو الذي عليه ولاؤه وانتماؤه، وهو الحق الذي يجب إعلاؤه.

فالإيمان بوحدانية الله تعالى يحقق وحدة جماعية واتفاقاً عاماً على طاعته، والرجوع إليه فيما أمر، والانتهاء عما نهى، ومن ثَم يسود شعور عام بالالتقاء على أهداف واحدة وغايات ثابتة، يترتب عليها شعور واحد عام ومطرد في شتى

تعاملات الموحدين، بحيث تتوحد القيم العليا التي ينمو في رحِمها العمل (كالتعاون والتواد والتراحم)، وتُصبح وحدتهم مضرب المثل الذي علَّمَنا إياه الرسولُ ﷺ بقوله في التماسك والوحدة: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»(١)، لاسيما أن الأصل الإنساني واحد: «**كلكم لآدم وآدم من تراب**»، وقد حرص الله تعالى على التذكير بتلك الوحدة في الأصل الإنساني في قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وأكد العلم الحديث على اتفاق البشرية في أصل الخلق رغم اختلاف صورهم وألسنتهم وأشكالهم وألوانهم وأعراقهم، فأجسامهم تنتهي إلى خليّة واحدة، والعناصر التي تتكون منها الأجسام واحدة، والعناصر التي تتكون منها الأفلاك والقمر واحدة، أي أن كل شيء في الوجود مطبوع على الوحدة، أفلا يدعونا ذلك إلى الوحدة؟! لا ريب أن تلك الوحدانية النابعة من وحدة الخلق؛ يَلزم أن تؤدي إلى تحقيق المساواة والعدل والإخاء، وتجعل الأمن والسلام يسودان بدلاً عن الصراعات والمجاعات والحروب.

ولا ريب أن التعدد والانقسام لا يحقق وحدة أو طمأنينة، ومن ثَم لا تُبنى الحضارات في ظل الصراع والانشغال بالغير أو الانقسام على النفس، بل قد يُؤْذِن ذلك بزوال الحضارة، ولما كان التوحيد نهايةَ الأطوار التعددية التي مرت بها العقيدة؛ كان ذلك مدعاة لاشتراكها واتحادها العملي في إنجاز حضارة

(١) رواه مسلم في صحيحه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، الحديث ٤٦٩١.

شاملة عامة تعبّر عن ميْسمها التوحيدي، فالفكر حين يتحرر من إسار التقليد أو اتباع الهوى أو الخرافة والأساطير؛ لابد أن تكون له قوة تَحميه وتقف خلفه؛ ألا وهي قوة التوحيد الذي يفسح النظر العقلي إلى كل ما في الكون، بل يعتبر كل شيء فيه يدل على وحدانيته تعالى، وقد قال القائل: له في كل شيء آيةٌ تدل على أنه الواحد.

الخلاصة: أن التوحيد والوحدة يمنعان من الازدواجية الثقافية؛ لأن تنوع الأنساق المكوِّنة للثقافة؛ يحيل دائماً على إمكانية حدوث الصدام والنزاع كما هو الشأن في التنوّع والتعدّد، ويبدو «أن أشد أنواع التوتر تلك التي تقع بين الثقافة بوصفها (هُويّة) وسمات خاصة بالأمة، وبين الثقافة بوصفها تعبيرات عن نَزَعات استهلاكية أو تعبيرات عن تحرّكات لتلبية حاجات الجسد، أو تعبيرات عن التكيف مع ظروفٍ ومعطياتٍ شديدة القسوة، وكلّما أوغل الناس في مدارج الحضارة؛ اشتد أُوار الصراع بين هذين النسقين من أنساق الثقافة؛ ذلك لأن ثقافة الهُويّة تتسم بالتعالي عن الانشغال بالواقع، وتنزع نحو المطلق، على حين أن التحضر يزيد وعي الناس بمصالحهم، ويفتح شهيّتهم على الاستهلاك، مما يُفضي إلى تضخم الثقافة المتعلّقة بتسيير الحياة اليومية وتحقيق المنافع الشخصية، وهذا يجعل الناسَ يَشعرون ويظهرون بأنهم أكثر دنيويّة، وهو ما يثير حساسيّة الترميزات العميقة للهُويّة في الثقافة الإسلاميّة»[1].

(١) إدارة الثقافة، عبد الكريم بكار، ص ٠٧/ ٠٤/ ٢٠٠٥.

ثالثاً: اللغة العربية والإعلام:

لا ريب أن اللغة العربية ليست أداةَ تواصلٍ أو وعاء للفكر العربي فحسب؛ أو أنها وسيلة إلى غاية رغم أنها تنعى حظَّها بينَ أهلها كما عبَّر الشاعر حافظ إبراهيم؛ بل هي كائن حي يؤثر ويتأثر ويَقوى ويَضعف، وقد كان واضحاً كيف حاول الاستعمار محاولاتٍ فاشلةً أن يقضي عليها أو كتابتها بغير الحروف العربية، لكنها صمدت أمام الرغبة في إحداث القطيعة بين واقعها وهوية الأمة، والصحة اللُّغوية دليل على قوة الثقافة وضعفها، فإن كانت هنالك أمة تعتز بلغتها تكون ثقافتها قوية.

كان للعولمة أثر على اللغة العربية، فقد ظهرت مصطلحات جديدة تعبر عن ثقافة العولمة، وإذا لم تكن هنالك مُشاحة في الاصطلاح كما يقولون؛ فلا اختلاف حول بعض المضامين للمصطلحات التي تُعبر عن ثقافة غربية لا تتفق تماماً مع معطياتها لدينا باعتبار هويتنا العربية والإسلامية، فقد أصبحنا سياسياً نتحدث عن الديمقراطية في مقابل الشورى، وحركياً عن الأصولية والتطرف والإرهاب، واقتصادياً عن الاشتراكية في مقابل الملكية العامة، واجتماعياً عن الحرية، الأمر الذي كان له أثره البالغ على لغتنا العربية، بناءً على ذلك يمكن أن تفعل القوانين في ردّ المهاجمين.

وكذا الحال فيما يتعلق بشيوع اللغة الإنجليزية والسخرية من العربية، والدعوات إلى فصل الأمة عن هويتها وتاريخها إذا تمكنت من إحلال العامية محل العربية والإنجليزية في مناهج التعليم، وبذلك تكون اللغة العربية قد فُصلت عن الإنتاج والتطوير والإبداع المعاصر فضلاً عن إحداث قطيعة مع الإرث الحضاري العربي، ومن ثم يتضح أن الازدواجية اللغوية كما هو الحال

في المغرب العربي مثلاً بين العربية والأمازيغية؛ وقد يترتب عليه فقدانُنا للهوية الثقافية العربية؛ لأنها فُصلت عن أصولها وأصالتها ناهيك عن الانقسام داخل بِنية المجتمع.

ولا شك أن اللغة وسيلة الإعلام، فإن استعمَلَها وفقاً لقواعدها فقد ذهب بها إلى جعْلها لغة عالمية، عن طريق استعمالها في القنوات الفضائية الإسلامية المعتدلة التي يجب أن تجعل من الثقافة الإسلامية قِبلة للاهتداء والصفاء والإخلاص، وتلك لغة عالمية مفهومة لدى الغرب.

رابعاً: الإنتاج وصناعة الثقافة:

لم يعُد يكفي فقط أن ترتكز الثقافة العربية على جزءٍ كبير من تاريخها تحت رايات الإحياء والتجديد بعيداً عن روح العصر أو تشوُّفاً إلى نفس النهضة الثقافية التي كانت موجودة في زمنٍ ما، الأمر الذي يجعلنا في غُربة عن واقعنا وثقافته المعاصرة، والسبيل الذي يدفع إلى إنتاج ثقافة جديدة هو أخْذ دورنا في الحضارة والإنتاج، حيث إن ذلك يخلُق ثقافة ووعياً وتحضّراً واتصالاً ومواكبةً لثقافات العالم المختلفة، ولا يقتصر دوره فقط على أن يكون متفرجاً متفرنجاً ومستهلكاً لمنتجات الحضارة الغربية التي جعلَت الإنسان العربي يُغلِّب المادةَ على الروح، وتتمكن منه الأَثَرة على الإيثار، وتُكسبه أخلاقيات وسلوكيات لم يكن مطبوعاً عليها من قبل؛ لأن همَّه الأكبر هو ملاحقة السيل الجارف من المصنوعات التي لن تتوقف.

خامساً: دور الحكومات:

إذا عرفْنا أن الحكومات الغربية- كالحكومة الفرنسية مثلاً- تحتاط لشعوبها من الهيمنة الأمريكية عبر وسائل العولمة المرئية خشيةً على لغتها وهويتها الثقافية، ومثلها بلاد اليونان، فأحرى بالأنظمة العربية والإسلامية أن تكون أكثر حيطةً وحذراً وأن تكون هناك هيئات لتصفية الداخل والحفاظ على وحدة نسيجه؛ عبر مناهج التعليم التي يَلزم أن تحافظ على القيم والمبادئ والأخلاقيات الإسلامية، ويَدرس الطلاب جميعًا مقرراً يدعم الهوية الثقافية، ولا ننسى التنبيهَ على ضرورة الحد من إنشاء الجامعات الأجنبية التي تعزز ثقافات الغرب بنفس القدر الذي تعزز فيه حالة الانقسام داخل المجتمعات، ويَجدر بالأنظمة الحاكمة أن تأخذ بأساليب التقنية والإنتاج حتى لا تقع شعوبُها فريسةً للاستهلاك والتغريب وفُقدان الهوية، وأن تدقّق كذلك في إبرام المعاهدات والاتفاقيات مع الدول الكبرى بما يحفظ هويتنا الثقافية.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- كتب السنة النبوية.
- أحمد صدقي الدجاني (د): مفهوم العولمة وقراءة تاريخية للظاهرة، صحيفة القدس، ٦/ ٢/ ١٩٩٨م.
- أحمد مجدي حجازي (د): العولمة وآليات التهميش في الثقافة العربية، بحث أُلقي في المؤتمر العلمي الرابع (الثقافة العربية في القرن القادم بين العولمة والخصوصية) بجامعة فيلادلفيا في الأردن، مايو ١٩٩٨م.
- حامد طاهر(د): المكونات المعرفية للثقافة الإسلامية، بحث غير منشور، بدون تاريخ.
- زكي نجيب محمود (د): عربي بين ثقافتين، دار الشروق، ط٢ / ١٩٩٣م.
- زيجرد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٦/ ١٩٨١م.
- عبد الفتاح محمد وهيبة(د): مكانة الجغرافية من الثقافة الإسلامية، جامعة بيروت العربية، ١٩٧٩م.
- فرحان السليم (د): الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة،
- محمد آدم: ما هي العولمة؟، مجلة النبأ، العدد ٤٢، ذو القعدة، ١٤٢٠هـ شباط ٢٠٠٠م
- محمد عابد الجابري (د): العولمة والهوية الثقافية، عشر أطروحات، دار المستقبل العربي، بيروت، العدد ٢٢٨، ١٩٩٨م.

- محمد عمارة (د): مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ضمن سلسلة التنوير الإسلامي ٣٢، دار نهضة مصر، ط الأولى ١٩٩٩م.
- محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مكتبة الأسرة، ط١/ ١٩٩٧م.
- مصطفى حلمي(د): كيف نصون الهوية الثقافية الإسلامية في عصر العولمة، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولي الرابع بقسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة بعنوان: الإسلام في عصر العولمة، أبريل ١٩٩٩م.
- هانس بيتر مارتن - هارالد شومان: فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية: ترجمة د.عدنان عباس علي، ومراجعة د.رمزي زكي، سلسلة عالم المعرفة،٢٣٨، أكتوبر ١٩٩٨م.